على هامش
بعض الدراسات البلاغية الحديثة

د • عبد الموجود متولى بهنسى

هذه ثمرة المـامة ببعض الدراسات الحديثة فى هذا الفن أضـعها بين يدى القارىء على هامش المـائدة لعله ـ بعد أن يجيل النظـر فيها وفى تلك الثمرة أن يختار ما حسن فى ناظرى ، وحلا فى فمى ، أو يتفضل فيرشدنا الى ما هو أحسـن منظرا ، وأحلى مذاقا فى دقة العالم ، ورقة الأديب •

وتتمثل المائدة التى أضع هذه الثمرة فى الحاشية منها فى دراستين:

الأولى :

كتاب بعنوان : « علم البيان » للمرحوم الدكتور عبد العزيز عتيق وهو كتاب لا تخطئـه العين فى مكتبة من مكتبـات مكة المكرمة ، ويكثر تداوله بين طلاب جامعـة أم القرى التى شرفت ـ ولا أزال ـ بالعمل فيها يستوى فى ذلك من التحق بكلية اللغة العربية بأقسـامها الثلاثة ـ البلاغة والنقد ، والأدب ، واللغـة ـ ومن التحق بغيرها من الكليـات المختلفة ، فان منهج الدراسة يقتضى مثل هذه الدراسة كمتطلب جامعى •

الثانية :

بحث بعنوان « الدراسات البيانية فى مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر ابن المثنى » قدمه صاحبه الى مركز البحث العلمى واحياء التراث التابع

لجامعة أم القرى • وقد عهد المركز الى بالنظر فى هذا البحث لأرى فيه رأيى من حيث صلاحية النشر أو عدمها •

ونظـرت فى البحث ورأيت أنه صـالح للنشر شريطة أن تراجع النقاط التى رأيت أنها فى حاجة الى المراجعة ، ولكن لم ينشر لظروف — ربما كانت غير فنية — على الرغم من مرور سـنتين أو أكثر منذ اعلان رأيى فيه •

ولقد رأيت أن أقتطف فى هذه الالمـامة ما يتصـل بالجانب الفنى فى الدرس البلاغى وأغض النظر عن الجانب المنهجى فانه عملية تنظيمية لا تمس صميم الفن ، وان كانت لها أهمية كبيرة حتى لا أثقل مجلة كلية اللغة العربية بالمذوقية التى تطوعت — مشـكورة — بنشر ما رأيت أن أضعه على هامش هاتين الدراستين •

ويجمل بى أن أشـير الى أن ما دونتـه على الهـامش من عناين الدراستين لا يعدو أن يكون لفتة أو لفتات لا تغض من شأن صاحبيهما، فقد كان المرحوم الدكتور عبد العزيز عتيق عالمـا كبيرا له مؤلفـات فى البلاغة والنقد • منها :

١ — علم المعانى ٢ — علم البيان •
٣ — علم البديع ٤ — تاريخ البلاغة العربية •
٥ — النقـد •

وكان شاعرا موهوبا من شعراء الرومانسية فى مصر الذين نوه بهم الدكتور محمد مندور اذ يقول : « ولربما كان فى هذه الحقائق ما يفسر تلك العاطفية التى تطغى على عـدد كبير من الشـعراء الذين ظهروا او نضجوا فى هذه الفترة (١) من أمثال ابراهيم ناجى الذى يقول الشعر

---

(١) الفترة التى كان اسماعيل صدقى فيهـا وزيرا فى الحكومة المصرية • وكان جائرا مستبدا •

« من وراء الغمام » وحسن كامل الصيرفى الذى ينشد « الألحان الضائعة » ومصطفى عبد اللطيف السحرتى الذى يستنشق « أزهار الذكرى » ومختار الوكيل الذى يسبح فى الزورق الحالم ، وعبد العزيز عتيق الذى يستغرق فى « أحلام النخيل » بل وسيد قطب الذى يرسو الى « الشاطىء المجهول » ومحمود أبو الوفا الذى يرسل « أنفاسا محترقة » (٢) •

أما صاحب البحث فقد أخفى المركز اسمه حتى يكون الرأى لوجه الحق بعيدا عن التعصب له أو عليه • وتلك وجهة محمودة ، وان كان سمت العلماء ينأى بهم عن التعصب والمجاملة فى الحق ، لأن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية كما يقال •

أولا ــ على هامش : علم البيان :

أشار الكاتب فى مقدمة علم البيان الى أن الكتاب يضم بين دفتيه محاضرات فى علم البيان ألقاها على طلبة الصف الثانى فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بيروت العربية ، وأن القسم الأول منها يعالج تاريخ علم البيان • ويتابع نشأته وتطوره فى العصور المختلفة حتى صار علما قائما بذاته ، وأن القسم الثانى دراسة مفصلة تحليلية تعززها الشواهد والنماذج لفنون علم البيان •

وسنرى ــ بعد عرض الملحوظات الفنية ــ مدى حيف القسم الأول على الثانى من هذه المحاضرات •

ــ وأول ما يلفت النظر فى القسم الثانى أن الكاتب فى أول خطوة من الدراسة الفنية يعرف التشبيه ثم يقول : « وتجدر الاشارة الى أن

---

(٢) الشعر المصرى بعد شوقى ــ الحلقة الثانية «جماعة أبوللو» ط. نهضة مصر : ص ٨ • وانظر ص ٧ •

التمثيل نوع من أنواع التشبيه ، وهذا رأى عبد القاهر الجرجانى الذى يقول : « التمثيل من ضروب التشبيه ، والتشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا ، ويوضح عبد القاهر رأيه فى موضع آخر من كتابه بقوله : واعلم أن الشيئين اذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين : أحدهما أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه الى تأويل • والآخر أن يكون محصلا بضرب من التأويل • ثم يروح يشرح قوله هذا — يقول الدكتور عتيق — فى اسهاب مفاده أن التشبيه المعام هو ما كان وجه الشبه فيه مفردا أى صفة أو صفات اشتركت بين شيئين ليس غير • وأن تشبيه التمثيل هو ما كان وجه الشبه فيه صورة مأخوذة أو منتزعة من أشياء عدة • فقول البحترى :

هو بحر السماح والجود فازدد منه قربا تزدد من الفقر بعدا

هذا التشبيه على رأى عبد القاهر تشبيه عام . لأن البحترى فيه يشبه ممدوحه بالبحر فى الجود والسماح ، فوجه الشبه هنا مفرد ..

وقول المتنبى :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

هو عند عبد القاهر — يقول الدكتور — عتيق — تشبيه تمثيل ، لأن المتنبى يشبه صورة ميمنة الجيش وميسرته وسيف الدولة بينهما وما فيهما من حركة واضطراب بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركهما ، ووجه الشبه صورة منتزعة من متعدد وهو وجود جانبين لشىء فى حالة حركة وتموج » (٣) •

أنقل هذا نصا عن الكتاب الذائع المنتشر ولا أدرى ماذا أقول فيه •

---

(٣) علم البيان : ٦٢ — ٦٣ •

أأقول انه خطـأ طباعى ؟ أم أقول انه ســهو ؟ أمران كلاهما غير محتمل •

أما عدم احتمال الخطأ فلأن الكاتب ــ هنا ــ لم يعرض الرأى غير رأى عبد القاهر حتى يكون الخطأ فى نسبة أحد الرأيين الى عبد القاهر من عمل الطابع • وأما عدم احتمال السهو فلأن رأى الامام فى التمثيل ذائع فى بيئات الدراسة البلاغية يعرفه الطلاب فضلا عن الأساتذة ، على أنه اذا كان الاختيار بين الاحتمالين محتــوما فانى أرى أن احتمــال السهو أقرب لانتفاء ما يوقع الطابع فى مثل هذا الخطأ •

وانه لمن العجيب ــ حقا ــ أن نرى الكاتب يغفل فى تحليله لبيت المتنبى عن كون الوجه صورة حســية • ويغفل عن معنى التــأويل الذى نقله عن عبد القاهر م ع أن الرجل أنفق فى بيان مراده بالتأويل جهــدا سود صفحات من كتابه أسرار البلاغة اقتطف منها ما يلى :

« فمثال الأول ــ يعنى التشبيه العام ــ تشبيه الشىء بالشىء من جهة الصورة والشكل : نحو أن يشبه الشىء اذا اســتدار بالكرة ••• والتشبيه من جهة اللون كتشــبيه الخد بالورد ، والشــعر بالليل ••• وكذلك كل تشبيه بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس ••• وكتشــبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر ، وتشبيه اللين الناعم بالخز ••• أو رائحة بعض الرياحين برائحــة الكافور • وهكذا التشــبيه من جهة الغريزة والطباع كتشبيه الرجل بالأسد فى الشجاعة ، والذئب فى النكر ، والأخلاق كلها تدخل فى الغريزة نحو السخاء والكرم ، واللؤم •• فالشبه فى هذا كله بين لا يجرى فيه التأويل ، ولا يفتقر اليه فى تحصيله ، وأى تأول يجرى فى مشابهة الخد للورد وأنت تراها هنا كما تراها هنــاك ؟ وكذلك تعلم الشجاعة فى الأسد كما تعلمها فى الرجل •

ومثال الثانى ــ يقول عبد القاهر ويعنى به التمثيل ــ وهو الذى يحصل بضرب من التأويل ــ كقولك : هذه حجة كالشمس فى الظهور •

فقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها ... الا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك الا بتأويل ، وذلك أن تقول : حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين ورؤيتها ... ثم تقول : ان الشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول ، لانها تمنع القلب رؤية ما هى شبهة فيه .. ولذلك توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب ادراكه أو يصرف فكره للوصول اليه من صحة حكم أو فساده . فاذا ارتفعت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذى هو الحجة ... قيل هذا ظاهر كالشمس أى ليس ههنا مانع عن العلم به ... فقد احتجت فى تحصيل الشبه الذى بين الحجة والشمس الى مثل هذا التأول » .

ثم قال : « اعلم أن الذى أوجب فى التشبيه هذا الانقسام أن الاشتراك فى الصفة يقع مرة فى نفسها وحقيقة جنسها . ومرة فى حكم لها ومقتضى فالخد يشارك الورد فى الحمرة نفسها . وتجدها فى المرئيين بحقيقتها . واللفظ يشارك العسل فى الحلاوة لا من حيث جنسها بل من جهة حكم وأمر يقتضيه وهو ما يجده الذائق فى نفسه من اللذة ، والحالة التى تحصل فى النفس اذا صادفت بحاسة الذوق ما يميل اليه الطبع ويقع منه بالموافقة . فاما كان كذلك احتيج — لا محالة — اذا شبه اللفظ بالعسل فى الحلاوة — أن يبين أن هذا التشبيه ليس من جهة الحلاوة نفسها وجنسها لكن من مقتضى لها ... ثم أن هذا الشبه العقلى ربما انتزع من شىء واحد كما يعنى من انتزاع الشبه للفظ من حلاوة العسل، وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها الى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما فى حال الافراد ... ومثال ذلك قوله عز وجل « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » (٤) .

---

(٤) أسرار البلاغة ط. صبيح : ٨٥ — ٩٦ وما بعدها .

وهنا نقول : ان عبد القاهر لم يدع مجالا للحدس والتخمين فى مراده بالتأويل ، وهو مناط التمثيل عنده ، فالمراد به كونه أمرا عقليا سواء أكان مفردا كما فى تشبيه الحجة بالشمس ، والأنفاظ بالعسل . او مركبا كما فى تشبيه اليهود يعرفون ما فى التوراة ولا يعملون به بالحمار يحمل الأسفار ، ولم يقف عبد القاهر عند هذا الحد بل انه اوضح أن الوجه الحسى سواء أكان مفردا أو مركبا ، ويلحق به الوجه المفرد الذى من قبيل الغرائز والطباع من التشبيه العام ، ولم يخل هذا التحديد من التمثيل والتحليل على نحو ما أوردناه هنا وان كنا لم نذكر امثلة لما أورده من المركب الحسى ، لأنه أشار الى الأمثلة فى ثنايا الكلام غير مكتملة ، ولقد ذكرها بعد مكتملة فى قول قيس بن الخطيم :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن أرى
كعنقود ملاحية حين نورا

وعقب على البيت بقوله : « انه تشبيه حسن ولا نقول هو تمثيل »

وذكر أمثلة لابن المعتز منها :

كأن عيون النرجس الغض حولنا
مداهن در حشوهن عقيق

وقد مهد لها بقوله : « وكذلك نقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها : لأنك تدنى المبعدات بعضها ببعض ، وكل ما لا يوجد التشبيه فيه من طريق التأويل » ثم عقب عليه بقوله : « ولا تريد نحو قوله :

اصبر على مضض الحسو
د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها
ان لم تجد ما تأكله »

وليس يخفى أن ما يصح اعتباره تشبيها عاما عند ابن المعتز وجه الشبه فيه مركب حسى كوصف النرجس ، حيث شبهه بمداهن الدر محشوة بالعقيق فان الوجه صورة لشيء أبيض فى وسطه شيء أحمر . وذلك مدرك بالحس أما ما لا يصح اعتباره تشبيها عاما فهو مثل وصفه لأثر الصبر على الحسود وتشبيهه بالنار التى تفنى عندما لا ينتهياً لها ما به استمرارها ، والوجه هو حتمية الفناء لامتناع ما به سبب البقاء كما يقولون ، ومثل هذا الوجه أمر عقلى واذا لم يمكن اعتباره تشبيها عاما فهو تمثيل ، لأن الوجه عقلى .

من كل ما سبق نرى أن التمثيل عند الامام عبد القاهر هو ما كان وجه الشبه فيه أمرا عقليا سواء أكان مفردا أو مركبا ، وأن التشبيه ما كان الوجه فيه أمرا حسيا أو ملحقا بالحسى ، وسواء أكان مفردا أو مركبا فالمدار فى كل ذلك على التأويل أو عدمه . والمحسوسات لا حاجة فيها الى التأويل كما هو ظاهر من كلامه الذى أوردناه .

وعند هذه النقطة نرى من واجبنا أن نذكر فى صراحة أن ما ذكره الدكتور عتيق فى مفهوم التمثيل ليس هو ما أراده الامام عبد القاهر ، وانما هو قول الخطيب القزوينى (٥) الذى أخذ به جمهور البلاغيين بعده

هذا ، وقد ذكر الدكتور عتيق تعريف التمثيل عند الجمهور حيث قسم التشبيه باعتبار الوجه الى ثلاثة أقسام منها التمثيل ، وقد عرفه بقوله : «وهو ما كان الوجه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور» ثم قال : « هذا هو مذهب جمهور البلاغيين فى تعريفه ولا يشترطون فيه غير تركيب الصورة سواء أكانت العناصر التى تتألف منها صورته حسية أو معنوية » (٦) .

---

(٥) الايضاح ـ ط صبيح سنة ١٤٠٢ هـ ١٠٨٢ م ص١٤١، ١٤٢

(٦) علم البيان عتيق : ٨٥ .

ثم أتبع هذا التعريف بأمثلة بعضها وجهه حسى . وبعضها وجهه عقلى ولم يبين نوع الوجه على الرغم من ذكره .

والسؤال هو : أيلتقى الخطيب وعبد القاهر فى مفهوم التمثيل بحيث يكون عندهما واحدا وهو ما كان الوجه فيه صورة منتزعة ؟ أم يفترقان ويكون الدكتور عتيق قد سها فى نسبة التعريف والتمثيل فى شوقه الى عبد القاهر وهو ليس له ؟

انه السهو الذى أدى به الى الاضطراب . وليس ذلك خطأ من الطابع كما تنطق بذلك عبارة الكاتب فى تحليله لبيت المتنبى ، لأن الوجه فيه مركب حسى ، ولو كان الوجه مركبا عقليا لقلنا انه اقتصر من التمثيل عند عبد القاهر على أحد نوعيه ، لأنه يغض النظر عن المفرد العقلى مما فعل السكاكى من قبل — وذلك على ما فيه — أهون من الذى كان .

يضاف الى ذلك أنه عندما ذكر تعريف الخطيب ونسبه الى الجمهور كان غير دقيق ، لأن كلمة الجمهور عندما تطلق تعنى أكثر البلاغيين دون تحديد لعصر من العصور ، ولو أنه نسبه الى الخطيب ثم أردف قائلا : وتبعه جمهور البلاغيين بعده لأوضح مراده بالجمهور ، وكان أكثر دقة وتوفيقا .

★ ★ ★

ومما يلفت النظر ما نقله عن أبى هلال العسكرى ، والمبرد .

فتحت عنوان : أجود التشبيه عند أبى هلال قال : « وعند أبى هلال أن جود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه (٧) :

---

(٧) علم البيان : ٦٩ وما بعدها .

أحدها اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه — وهو قول الله عز وجل :

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ..) .

والوجه الآخر : اخراج ما لم تجر به العادة الى ما جرت به العادة كقوله تعالى : (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) .

والوجه الثالث : اخراج ما لا يعرف بالبديهه الى ما يعرف بها . فمن هذا قوله تعالى : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) .

والوجه الرابع : اخراج ما لا قوة له فى الصفة على ما له قوة فيها كقوله عز وجل : (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) .

وقد جاء فى أشعار المحدثين تشبيه ما يرى بالعيان بما ينال بالفكر ، وهو ردىء وان كان بعض الناس يستحسنونه لما فيه من اللطافة والدقة ، وهو مثل قول الشاعر :

ونديمان سقيت الراح صفوا
وأفق الليل مرتفع السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها
كمعنى رق فى ذهن لطيف

وتحت عنوان : أقسام التشبيه عند المبرد قال

« والمبرد من أوائل العلماء الذين درسوا فن التشبيه وهو يقسمه الى أربعة أضرب :

١ — التشبيه المفرط : وهو التشبيه المبالغ فيه .. كقول الخنساء :

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

٢ ــ التشــبيه المصيب : ويفهم من امثلة التى أوردها المبرد أنه يعنى به ما خلا عن المبالغة .. كقول امرىء القيس فى طول الليل :

كأن الثريا علقت فى مصامها بأمراس كتان الى صم جندل

٣ ــ التشبيه المقارب كقول ذى الرمة :

ورمل كأدراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمــات الحنادس

وهذا من نوع التشبيه المقلوب ..

٤ ــ التشبيه البعيد : وهو الذى يحتاج الى تفسير ، وعند المبرد أن هذا النوع هو أخشن الكلام كقول الشاعر :

بل لو رأتنى أخت جيراننــا اذ أنا فى الدار كأنى حمــار

فان الشاعر أراد الصحة وهو بعيد ، لأن السامع انما يستدل عليه بغيره (٨) .

هذا ما اختصرناه من كلام أبى هلال والمبرد على ما نقله الكاتب ، ولم نذكره بتمامه نظرا لطــوله ، واســتغناء بما ســنذكره من ذلك فى السطور التالية .

ونرى أن الكاتب لم يوفق فى طريقة العرض لهذه الأقســام ، وفى مكانهــا :

ــ فقد ذكرت عقب الحديث عن أقسام التشبيه بالنظر الى طرفيه من حيث الحس والعقل على نحو ما ذكره المتأخرون من كونهما حسيين، أو عقليين ، أو مختلفين ، وقبل الحــديث عن الأداة . ولا ندرى لذلك سرا .

---

(٨) علم البيان : ٦٩ ــ ٧٦ .

ـ ولم يحاول أن يكشف لقارئه ـ فى هذه المرحلة ـ أن أبا هلال لم يكن واضح المنهج ، اذ لم يبين الأساس الذى أقام عليه فكرة التقسيم هذه مما شأنه أن يدعو أهو قائم على حسية الطرفين أو عقليتهما او اختلافهما فى التشبيه ؟ أم هو قائم على تأثيره فى النفس . وأسباب هذا التأثير ؟

ان القارىء عندما ينعم النظر يجد هذه الاقسام متداخلة ، ففى القسم الأول وهو : ـ اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه ـ نرى تشبيه المعقول بالمحسوس فى قوله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ..) .

وقوله : (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) (٩) .

ونرى تشبيه المحسوس بالمحسوس فى قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها .. فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) . وذلك ما بينه الزمخشرى اذ يقول : « فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع حططناه أبلغ حط ، لأن تمثيله بالكلب فى أخس أحواله وأذلها معنى ذلك » (١٠) ففى عبارته تزكية لما رأيناه فى التشبيه ، لأن الخسة هى الوصف المشترك الذى يسمى وجها ، ولفظة المثل التى فسروها بالصفة اشارة اليه ، وقد أكد ذلك صاحبا تفسير الجلالين بقولهما « وجملتا الشرط حال أى لاهثا ذليلا ، والقصد التشبيه فى الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل الى الدنيا واتباع الهوى » (١١) . ومن هنا يتضح أن قول

---

(٩) الكشاف : ٢/٣٧٢ ، ٣/٦٩

(١٠) السابق : ٢/١٣١ .

(١١) تفسير الجلالين على هامش حاشية الجمل : ٢/٢١٢ .

أبى هـلال : « والمعنى أن الكلب لا يطيعـك فى ترك اللهث على حال . وكذلك الكافر لا يجيبك الى الايمان فى رفق . ولا عنف » يتضح أنه تحاول الرجه لا لبيان الطرفين .

وكذلك قوله تعالى : (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى المـاء ليبلغ فاه وما هو ببالغـه) يجوز أن يكون من تشبيه المعقول بالمعقول حيث يكون المراد تشبيه استجابة اصنام ان يدعونها باستجابة المـاء لطالبه ، وأن يكون من تشبيه المحسوس بالمحسوس بأن يكون المعنى قائما على أساس تشبيه الكافرين يدعون ما لا يقدر على جلب نفع أو دفع ضر بمن بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه فلا يصل اليه ..

قال الزمخشرى : « أى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ، ولا يقدر أن يجيب دعاءه .. وقيل شبههم فى قلة جدوى دعائهم لآنهتهم بمن أراد أن يغرف المـاء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه ... الخ » (١٢) .

وفى القسم الثانى ــ وهو : اخراج ما لم تجر به العادة الى ماجرت به العادة ــ نجد بعض التشبيهات من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس كقوله تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) . وقوله (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ــ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) .

وبعضها من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السـماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) وقوله (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفـاخر

---

(١٢) الكشاف ــ ط الحلبى : ٣٠٤/٢ .

بينكم ، وتكاثر فى الأموال ، والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) .

وفى الوجه الثالث ــ اخراج ما لا يعرف بالبديهة الى ما يعرف بها ــ نجد تشبيه ما يدرك بالعقل بالمحسوس مثل قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض) ، لأن الجنة هى دار الثواب ، وانما هى غيب أخبر به الله سبحانه يصدقه العقل ، ولا يدرك بالحس فى الدنيا . وتشبيه المحسوس بالمحسوس كما فى قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) .

وفى الوجه الرابع ــ وهو اخراج ما لا قوة له فى الصفة على ماله قوة فيها ــ نجد الأمثلة من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس بمن ذلك قوله تعالى (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) .

ومن ثم لا يمكن اعتبار التقسيم قائما على حسية الطرفين أو عقليتها أو اختلافهما فى الحسية والعقلية .

وهنا نأتى الى الشطر الثانى من التساؤل بدو اعتبار التقسيم قائما على تأثير التشبيه .. ونرى أنه لا يصلح كذلك أساسا ، لتداخل الأقسام . فتصوير المعقول فى صورة حسية من شأنه أن يملأ النفس ويأسر الحس . لكن أمثلة هذا اللون ظاهرة فى الأقسام الثلاثة الأولى مما يعنى أنها متداخلة ، وذلك يهدم اعتبار التأثير أساسا للتقسيم . ثم ماذا يكون سبب التأثير فيما كان الطرفان فيه حسيين ؟ ذلك ما لم نجد اشارة اليه ، وعلى فرض وجودها فان تداخل أمثلة هذا النوع مع سابقه تجعل القول باعتبار التأثير أساس التقسيم غير صحيح .

وانى لأذكر القارىء بأسباب تأثير التشبيه التى أفاض فيها الامام عبد القاهر (١٣) • وبلورها الخطيب القزوينى بعده فى ثلاثة أسباب رئيسة هى :

ـ ما يحصل للنفس من الأنس باخراجها من خفى الى جلى • كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة الى ما يعلم بالفطرة ، أو باخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته ، أو مما تعلمه الى ما هى به أعلم كالانتقال من المعقول الى المحسوس •

ـ الاستطراف كقول عدى :

تزجى أغن كأن ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

فقد افتتح البيت بتشبيه قرن الظبى بما لا يحضر له فى أول الفكر شبه ، وأتمه وقد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف •

ـ صحة تشبيه أشياء عديدة بشىء واحد مع اختلاف الوجه • أو اتحاده • والأول كتشبيه الجواد بالزند نظرا الى ايرائه ، وتشبيه البخيل به نظرا الى اصلادة ـ أما الثانى فكتشبيه كل من الجواد والذكر ، والنجح فى الأمور بالزند نظرا الى ايرائه ، وتشبيه كل من البخيل والبليد والخيبة فى السعى نظرا الى اصلاده (١٤) •

ولا يخفى على القارىء ـ بعد تذكيره ـ أن ما ذكره أبو هلال من الأقسام الأربعة يندرج تحت السبب الأول يستوى فى ذلك تشبيه المعقول بالمحسوس ، وتشبيه المحسوس بالمحسوس •

---

(١٣) أسرار البلاغة ـ ط صبيح : ١٠٨ ـ ١٣٢ •
(١٤) الايضاح ـ ط صبيح : ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ١٣٥ •

واذا كان التأثير وحسية الطرفين أو ما اليها لا يصلح أساسا للتقسيم المذكور فهل يمكن القول بأنه ينظر الى ما تعارف عليه المتأخرون من أغراض التشبيه ؟ الذى ينظر فى هذه الأقسام يجد أن ما ذكر فيها من أمثلة لا يتعدى بيان الحال أو تقريرها ، أو تقبيح المشبه • وقد اجتمعت هذه الثلاثة فى أمثلة القسم الأول ، أما مثلة القسمين الثانى والثالث فمنها ما هو لبيان الحال ومنها ما هو لتقريرها ، وتداخل الأغراض على هذا النسق ينفى أن يكون الغرض أساسا للتقسيم •

والذى يزيد الأمر خفاء أن أبا هلال — بعد فراغه من عرض هذه الأقسام — ذكر أن تشبيه المحسوس بالمعقول ردىء عنده ، وان كان بعض الناس يستحسنه ومثل هذا الموقف يدعو الى التساؤل : كيف ينسجم هذا مع استجادته للأقسام الأربعة مع أنه لم يبن حكمه على أساس كون الطرفين حسيين أو ما سوى ذلك •

يضاف الى ما سبق أن القسم الرابع يشير الى شرط من شروط الوجه فى المشبه به حين يكون الغرض بيان الحال ، أو المقدار ، أو التقرير أو الامكان ، وهو أن يكون أقوى وأشهر ، وقد سبق أن عرفنا أن ثلاثة من هذه الأغراض موجودة على سبيل التداخل فى الأقسام الثلاثة الأولى • فلماذا أفرد هذا القسم مع أنه بالطبع داخل فى تلك الأقسام ؟

وقد ينهض عامل الزمن عذرا لأبى هلال حين لم يتخذ منهجا واضحا فى تقسيمه وحين لم يشر الى من نقل عنه هذه الأقسام دون نظر فيها ، ولكنه لا ينهض عذرا لصاحب علم البيان ، اذ كان يلزمه أن يتفحص هذه الأقسام باحثا عن الأساس الذى تقوم عليه ويشير الى نقل أبى هلال لهذه الأقسام عن الرمانى (١٥) دون اشارة فقد نقل

---

(١٥) النكت فى اعجاز القرآن ـ ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ط ـ دار المعارف : ٨١ ـ ٨٥ •

أبو هلال هذه الأقسام بأمثلتها ، ولم يخلص له الا ما أشـــار اليه من رداءة فى تشبيه المحسوس بالمعقول •

واذا كنا نتبين منهج المبرد فى تقسيمه ، واستحسانه أو استهجانه لأى من هذه الأقسام فاننا لم نتبين المعيار الذى دعا صـــاحب علم البيـــان الى ذكرها وأقسام أبى هلال فى هذا الموضوع ، وكان أولى به أن يضعها فى صدر حديثه عن محاسن التشبيه (١٦) ليمهد لذلك برأى السابقين ، اذ لا يخفى أن وضعها بين طرفى التشبيه وبين الأداة دون سبب واضح يشير اليه يجعلها لقى تقذى به العين •

★ ★ ★

وتحت عنوان : غرائب التشبيه وبديعه قال: والتشبيه •• ميدان تتبارى فيه قرائح الشعراء ، ولعله ـــ هو وأسلوب الاســـتعارة ـــ من أكثر أساليب البيان دلالة على عقل الأديب وقدرته على الخلق والابداع ولمـــا كان التشبيه يعد مقياسا يقاس به بلاغة البليغ وأصالته فاننا نرى من البلغاء من لا يقف على براعته فى التشـــبيه عند حد اجادته وانما يتجاوز ذلك الى الاتيان بأكثر من تشبيه فى بيت واحد • وذكر ضـــمن أمثلة التعدد (١٧) قول الطرماح يصف حمارا وحشيا :

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد

وقول البحترى :

شقائق يحملن الندى فكأنه دموع التصابى فى خدود الخرائد

وقو بشـــار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

---

(١٦) علم البيان ـ ط دار النهضة ـ بيروت : ١١٩ •
(١٧) السابق ط ١١٤ ـ ١١٩ •

وقول الوأواء الدمشقى :

وأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

★ ★ ★

واننا لنقرأ هذه المقدمة والتمثيل لها فنزداد عجبا ، لان ما أوردناه من المثل لا ينطبق على ما أراده :

ـ فان أبيات الطرماح ، والبحترى وبشار داخلة فى اطار التشبيه المركب الطرفين . وفى مثل هذا النوع لا يحسن أن يشبه كل جزء من الطرفين بما يقابله من الطرف الآخر ، لأنه ـ وان جاز فيه التفريق ـ يفسد جمال التشبيه ، ويذهب بطلاوته . فهو قائم على تشبيه هيئة بهيئة ، والمضى الى التفريق يجعل الصورة فاترة وقد بين ذلك الامام عبد القاهر فى قوله : « وقد يكون الشىء منه اذا فض تركيبه استوى التشبيه فى طرفيه ، الا أن الحال تتغير ، ومثال ذلك قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فأنت ـ وان كنت اذا قلت : كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق وجدت التشبيه مقبولا معتادا مع التفريق ـ فانك تعلم بعد ما بين الحالتين ، ومقدار الاحسان الذى يذهب من البين . وذلك أن المقصود من التشبيه أن يريك الهيئة التى تملأ النواظر عجبا ، وتستوقف العيون وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى : من طلوع النجوم مؤتلقة مفترقة فى أديم السماء ... ومن لك بهذه الصورة اذا فرقت التشبيه ، وأزلت عن الجمع والتفريق ؟ » (١٨) .

واذا كان الكاتب ينظر الى التعدد بغض النظر عن الصورة فقد كان عليه أن يبين لقارئيه ـ فى المرحلة التى أشار اليها فى المقدمة ـ بأن

---

(١٨) اسرار البلاغة ـ ط صبيح : ١٨٢ .

طرفى التشبيه فى هذه الأمثلة مركبان حتى لا ينظروا اليها نظرتهم الى التعدد فى مثل قول أبى الطيب :

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

— وليس يخفى أن بيت الوأواء ليس من قبيل التشبيه بالمعنى الفنى ، وانما هو استعارة تصريحية ، ولو أن الكاتب لم يشر الى مغايرة التشبيه للاستعارة ، فهما معا — كما قال — من أكثر أساليب البيان دلالة على عقل الأديب ، ومقدرته على الخلق والابداع — أقول او لم يشر هذه الاشارة لظننت أنه يتسامح فى التعبير على نحو مايحدث أحيانا من بعض المهتمين بهذا الحقل ، فقد يكتفون بالاشارة الى أصل الصورة — كما فعل ذلك أبو هلال العسكرى حين اعتبر هذا البيت تشبيها — ولكن اشارته السابقة تحتم عليه أن لا يذكر هذا البيت فى سياق التشبيه ، والا فقد كان عليه أن ينبه الى أن التشبيه فى هذا البيت من قبيل الاستعارة ، والاستعارة أصلها التشبيه ، ولكنه لم يفعل .

وتحت عنوان : محاسن التشبيه قال : « وقد عرفنا أن تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر لا يخلو من أن يكون تشبيه معنى بمعنى ، أو تشبيه صور بصورة ، أوتشبيه معنى بصورة ، أو تشبيه صورة بمعنى وأبلغ : هذه الأنواع تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) ثم قال :

ومن محاسن التشبيه المضمر الأداة قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) .. ومن هذا الأسلوب قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) فشبه تبرؤ الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ ».

وفى مجال الحديث عن تشبيه المركب مع اضمار الأداة ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل (وهل يكب الناس على

مناخوهم الا حصائد ألسنتهم !) ثم حلله قائلا : « فقوله حصائد ألسنتهم من تشبيه المركب بالمركب ، لانه شبه الألسنة وما تمضى فيه من الأحاديث التى يؤاخذ بها بالمناجل التى تحصد النبات من الأرض ، وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع الا من النبى صلى الله عليه وسلم » .

ثم مضى فى حديثه فذكر قول أبى تمام :

معشر أصبحوا حصون المعالى ودروع الأحساب والأعراض

على أنه من التشبيه المركب المحذوف الأداة ، ثم حلل التشبيه قائلا : فقوله حصون المعالى من التشبيه المركب ، لأنه شبه المعشر الممدوح منعهم المعانى وحمايتها من أن ينالها أحد سواهم بالحصون فى منعها من بها وحمايته » .

ونلاحظ على هذه الأقوال ما يلى :

١ ــ فى الاشارة الى ما سبق من تصوير معنى بمعنى ما يؤكد لنا صحة ما سبق أن لاحظناه من أحقية ذكر ما نقله عن أبى هلال ، والمبرد هنا فهذا مكانه ، وكان يحسن به أن يقول تصوير المعقول بالمعقول ، أو المعنوى بالمعنوى ، وتصوير المعنوى بالمحسوس لتكون عبارته أكثر وضوحا للقارىء الذى ألف الكتاب من أجله ، وأن يناقش تصوير المحسوس بالمعنوى مناقشة كاشفة عن مدى تقبل الحس الأدنى له .

٢ ــ أن اعتباره لقوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) تشبيها مضمر الأداة مثل قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) أمر فى غاية العجب ، ففى الآية الأولى حذف المشبه ، والأداة ، والوجه ، وفى الثانية حذفت أداة والوجه فقط أما طرفا التشبيه فمذكوران « الليل ــ اللباس » (١٨) .

---

(١٨) علم البيان : ١١٩ ــ ١٢٢ .

ولا نقول انه يتحاشى ذكر لفظ الاستعارة فى التعبير القرآنى ، فقد ذكر ذلك صريحا فى ص ١٧٦ تحت رقم ٢ حين ساق قوله تعالى (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) • ثم علق قائلا : « ففى الآية الكريمة مجازان لغويان فى كلمتى الظلمات والنور ، قصد بالأولى الضلال ، والثانية الهدى والايمان ، فقد استعير الظلمات للضلال لعلاقة المشابهة بينهما فى عدم اهتداء صاحبهما ، وكذلك استعير النور للهدى والايمان لعلاقة المشابهة بينهما فى الهداية والقرينة التى تمنع من ارادة المعنى الحقيقى فى كلا المجازين قرينة حالية تفهم من سياق الكلام » •

هذا • ومما يدعم القول بأن المشبه محذوف قول الخطيب القزوينى « وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى فكقوله تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) فان المستعار منه كشط الجلد وازالته عن الشاة ونحوها • والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظله وهما حسيان » الايضاح ط صبيح ص ١٦٩ •

على أن قول الكاتب فى تحليله « فشبه تبرؤ الليل من النهار » غير لائق من حيث التأدب مع الله عز شأنه ، فالليل لم يتبرأ من النهار ، وانما جاء الفعل « نسلخ » فى العبارة القرآنية مسندا الى ضمير العظمة المفهوم مرجعه لدى الكافة •

٣ ــ فى تحليله للصورة « حصائد ألسنتهم » بعد عن الصواب لا يشفع له فيه وصفه لبلاغة الرسول فى حديثه صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن الحصائد لفظ مستعار للأقوال السيئة ، وهذه الأقوال ليست مذكورة فى النص النبوى على وجه ينبىء عن التشبيه ، وفوق ذلك فلو كانت مذكورة فلا يمكن اعتبارها تشبيها مركبا ، وذلك لأن تشبيه الأقوال السيئة بالحصائد لا تركيب فيه على مانرى ، أو يكون فى العبارة استعارة مكنية ، حيث شبهت الألسنة بالمناجل وحذف المشبه به ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الحصائد •

٤ — أن اعتبـاره لقول أبى تمام تشـبيها مركبا خارج عن منطق الحس ، ذلك أن أبا تمام شبه المعشر بالحصن بوجه الحماية فى كل : فالمعشر يحمى المعالى ، والحصون تحمى من بها . والطرفان مفردان . والوجه مفرد ، وليس بخاف أن الكاتب ذكر الوجه مكررا مع المشـبه والمشبه به كأنه جزء من كل منهما . وهذا منشأ الوهم فى اعتباره مركبا.

★ ★ ★

ثانيا : فى المجاز :

فى المجاز المرسـل تحدث عن علاقة السـببية ، وحددها قائلا : « وذلك بأن يطلق السبب ويراد المسبب نحو قولهم : رعينا الغيث ، لأن الغيث سبب وجود النبات وظهوره » .

ومعنى هذا أن الكاتب يعتبر اللفظ المذكور فى العبارة محدودا لنوع العلاقة فى هذا المجاز ، وهذا جيد لا غبار عليه .

ولكنه قال بعد ذلك ضاربا مثلا ، ومحللا له : « ومنه قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فالمجاز هنا فى لفظة الشهر ، والشهر لا يشاهد ، وإنما الذى يشاهد هو الهلال الذى يظهـر فى أول ليـلة فى الشهر ، والهلال سبب فى وجود الشهر فاطلاق لفظ الشهر عليه مجاز مرسل علاقته المسببية » ص ١٥٨ .

وفى حديثه عن الاستعارة المكنية يذكر أن المجاز فى لفظ المشبه . ومن المثل التى ذكرها قول دعبل الخزاعى :

لا تعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

ثم قال : « فالمجاز هنا فى كلمة المشيب » ويمضى على هذا النسق فى جميع الأمثلة التى ذكرناها للاستعارة المكنية ص ١٧٧ .

وفى حديثه عن الترشيح وقسيميه قال بعد أن ذكر أمثلة وحللها « من ذلك يتضح أن الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية اذا استوفت قرينتها وذكر معها ما يلائم المشبه به فانها تسمى استعارة مرشحة » ثم قال « و .. أن الاستعارة مطلقا اذا استوفيت قرينتها وذكر معها ملائم المشبه فان الاستعارة بسبب ذلك تسمى استعارة مجردة » ثم انتقل الى الاستعارة المطلقة وذكر أمثلة وحللها،ومن ذلك قول المتنبى يخاطب ممدوحه :

يا بدر يا بحر يا غمامة يا ليث الشرى يا حمام يا رجل

وقال فى تحليله : « ففى هذا البيت استعارة تصريحية فى كل من بدر ، وبحر وغمامة وليث الشرى ، وحمام .. والقرينة فى كل استعارة هى النداء » .

ومن ذلك أيضا قول كثير :

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر ظاهر جلدى وهو للقلب جارح

ثم قال فى تحليله للاستعارة : « ففى لفظة « سهم » استعارة تصريحية أصلية ويقال فى اجرائها : شبه الطرف بالسهم بجامع الاصابة بالضرر والأذى ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السهم للمشبه وهو الطرف على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، والقرينة المانعة من ارادة المعنى الأصلى لفظية وهى الكحل واذا تدبرنا هذه الاستعارة التى استوفت قرينتها رأينا أنه قد اقترن بها ملائم للمشبه به « السهم » وهو الريش ، وكذلك ملائم للمشبه « الطرف » وهو الكحل، وهذا السبب الذى يتمثل فى اقتران الاستعارة بما يلائم المشبه به والمشبه معا فالاستعارة أيضا مطلقة » (١٩) .

---

(١٩) علم البيان : ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

ونلاحظ على أقواله هذه ما يلى :

١ ــ اذا كان اللفظ المذكور هو الذى يحدد العلاقة فى المجاز المرسل فان لفظ الشهر المذكور فى النص الكريم ليس سببا فى وجود الهلال ، ولكن الهلال هو سبب وجود الشهر كما ذكر ذلك الكاتب نفسه فى تحليله وهذا يعنى أن المذكور هو المسبب فالعلاقة ــ على هــذا ــ المسببية لا السببية كما ذكر الكاتب .

٢ ــ فى اعتبار المشبه مناط المجاز فى الاستعارة المكنية تسامح كبير لأن المشبه مستعمل فيما وضــع له . ولم يقل أحــد من البيانيين : ان الاستعارة فى المشبه الا السكاكى وفيه ما فيه من التعسف ، ولذلك لم يتابعه أحد باستحسان فيما أعلم وعلى هذا ينبغى أن يقال : فالمجاز فى قول الشاعر « ضحك المشيب » ويجرى بعد ذلك تحليل الاســتعارة على نحو ما يذكره الكاتب ، ولا يقال المجاز فى «المشيب» لأنه هو المشبه كما سبق أن ذكرت .

٣ ــ اذا أخذنا فى اعتبارنا أن كلا من الترشيح والتجريد والاطلاق لا يكون الا بعد استيفاء القرينة كما ذكر الكاتب ، وأن القرينة لا يمكن اعتبارها تجريدا فانا نأخذ عليه نظرته للاستعارة فى قول المتنبى :يا بدر يا بحر الخ حيث اعتبرها مطلقة لاستيفائها القرينة بالنداء ، ولم يأخذ فى اعتباره قول المتنبى « يا رجل » ألا يعتبر هذا من ملائمات المشبه ؟ أم أنه يغض النظر عن هذا النداء مع أن البيت وحدة كاملة كما لا يخفى على أحد ؟

كما نأخذ عليــه أنه اعتبر لفظ الكحل فى بيت كثير قرينة ثم عاد واعتبره من ملائمات المشبه فيكون تجريدا (!) والسؤال هنا كيف وهو يشترط أولا استيفاء الاستعارة قرينتها ؟ أتراه يعتبر القرينة تجريدا ؟ اذن لا يكون هنا اســتعارة مطلقة والذى خفى على الكاتب أن ملائم

المشبه الذى يعتبر تجريدا هو قول كثير : « لم يضر ظواهر جلدى » وبذلك يتعادل الترشيح والتجريد فيتدافعان ، وتعود الاستعارة مطلقة حيث استوفت قرينتها بلفظ الكحل ، وما ذكر من الريش ، وعدم ضير ظواهر الجلد كل منهما يدفع أثر الآخر على الاستعارة .

ثالثا : فى الكناية :

وفى حديثه عن الكناية ذكر من صورها ما يكون للتعمية والتغطية حرصا على المكنى عنه أو منه كالكناية عن أسماء النساء أو أسماء الأعداء ومثل لذلك بقول عمر بن أبى ربيعة :

أيا نخلتى وادى بوانة حبـــذا
اذا نام حراس النخيـــل جناكما
فطيبكما أربى على النحل بهجة
وزاد على طول الفتـــاء فتاكما

فقد كنى بنخلتى وادى بوانة عن اثنتين من صواحبه حرصا على سمعتهما كما كنى بحراس النخيل عن ذويهما خوفا منهم ص ٢٢٣ .

ونلاحظ أن الكاتب ــ هنا ــ يجرى مجرى كثير من البيـــانيين . والذى نراه أن مثل هذه الصورة أقرب الى الاســـتعارة ، لأن المشابهة هنا أوضح فيكون قد شبه صاحبتيه بالنخلتين فى بهاء المنظر والتلذذ ، وهذا ما أشار اليه البيت الثانى : فطيبكما أربى على النخل ... الخ وشبه قومهما بالحراس ، ثم استعار النخلتين لهما ، والحرس لقومهما .

على هذا النسق يجرى ما يذكره الشعراء حين يعبرون عن المرأة بالشاة والبيضة وما الى ذلك . وادراك هذه الصورة على هذا النمط يجعل الفرق واضحا بينها وبين الكناية عن الموصوف فى مثل قول الشاعر :

ألمـــا بذات الخال ثم اذكر لنا على العهد باق ودها أم تصرما

فذات الخال صفة يكنى بها عن الموصـــوف ، ولا يمكن أن تلمح صفة مشابهة هنا . وبذلك تتميز صور البيان ولا تختلط على الدارس ، وبمثل هذه الكناية تكون التعمية والتغطية كما أراد الكاتب .

هذا : ونلاحظ أن الكاتب يطيل حيث تكفى الخلاصـــة الوافية ، وذلك فى :

١ ــ التعريف بعلم البيان نشأته وتطوره فقد اســـتغرق ذلك من أول الكتاب الى ص ٦٠ .

٢ ــ التعريف بالتشـــبيه اســـتغرق ثلاث صفحات من ٦١ ــ ٦٣ ويغنى عن ذلك سطر واحد .

٣ ــ التعريف بالمجاز استغرق ثمانيا من ١٣٥ ــ ١٤٢ .

٤ ــ التعريف بالكناية استغرق صفحات ثمانيا من ٢٠١ ــ ٢٠٨ .

فاذا عرفنا أن عدد صفحات الكتاب كله مائتان وســـبع وعشرون صفحة ، وأن الصفحات المشار اليها تسع وســـبعون أدركنا الاطالة فى أمور تكفى الخلاصـــة : فالطالب فى هـــذه المرحلة التى ألف الكتاب من أجلها تكفيه لمحة عن نشـــأة علم البيان وتطوره يمكن أن تســـاق فيما لا يجاوز عشرين صفحة ويكفيه فى تعريف التشبيه والمجاز والكناية سطور ثلاثة لينصرف الجهد بعد ذلك الى الغاية المنشودة ، وهى تذوق الصور البيانية وأثرها فى لمعنى ، من خلال العناية بالتطبيق والتحليل .

وللكاتب فيما عدا ذلك جهد مشكور . والكمال لله وحده .

ثانيا : الدراسة البيانية فى مجاز القرآن :

ــ وقد سبق أن نبهت على أننى سأترك الجانب المنهجى فى هذا البحث وقد كنت وضعته تحت عنوان أولا وأكتفى بالجانب الفنى الذى كنت وضعته تحت عنوان :

ثانيا : فى الدراسة الفنية نلحظ :

ـ أن الباحث خرج على خطتـه فى البحث عند تناوله للتشـبيه والتمثيل : فقد التزم بتقديم تأويل أبى عبيدة لألوان البيان بما ينم عن مدى فهمه لها ، ومعارضة آرائه بآراء غيره من الأئمة بعده لتعرف الحد الذى وصل اليه فى ادراك ما عالجه من مسائل البيان ، ثم تحرى الصواب فى كل ما يعرض له .

ويتمثل خروجه هنا فى نقطتين :

الأولى : فى التشبيه حيث لم يعارض ما قاله أبو عبيدة فيه بما قاله الأئمة والأمر فى ذلك واضح لمن يراجع البحث من ص ١٨ ـ ٢٠ .

الثانية : أنه على الرغم من فصله بين التشـبيه والتمثيل حيث وضع لكل منهما عنوانا جانبيا لم يبين ما وقع فيه أبو عبيدة من خلط بينهما فى حين أنه فى الوقت الذى يلتمس فيه العذر له ، ويطلب عدم محاكاته على معانى الألفاظ عنده قبل ن تتحول الى مصـطلحات والى مقاييس البلاغة التى ظهرت فى العصـور التالية ـ أقول : انه فى هذا الحين يرى أن عرضها على هذه المقاييس يبين مدى توفيقه ، وهـذا يعنى أنه لم يتحر الصواب كما أخذ نفسه بذلك .

ويتبين لنا ما وقع فيه أبو عبيدة من خلط اذا عرفنا أنه جعل قوله تعالى (ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) تشبيها ، اذ قال ـ كما يجده القارىء للبحث ـ « شبه بالعرى التى يتمسك بها » . وهو تمثيل على حد الاستعارة حيث شبهت الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذى لا يحتمل النقيض أصلا لثبوته بالبراهين القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المأمون انقطاعه ثم استعيرت الثانية للأولى على وجه الاستعارة التمثيلية . أو تكون العروة الوثقى

مستعارة للاعتقاد الحق ، والاستمساك مستعار للملازمة أو ترشيح للاستعارة الأولى [ينظر تفسير أبى السعود جـ ١ ص ٢٥٠ ، والبحر المحيط جـ ١ ص ٢٨٢] .

وأنه أدخل قوله تعالى (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) ــ أدخله فى التشبيه وهو من التمثيل اذ شبه حال الكفرين فى دعائهم للأصنام طمعا فى جلب الخير لهم ودفع الضر عنهم بحال من بسط كفيه الى الماء طمعا فى وصوله الى فمه ــ والوجه هو الهيئة الحاصلة من ضياع مأمول على صاحبه لعدم سلوكه الطريق اليه .

وللانصاف نقول : ان أبا عبيدة قال : مجازه أن الذى يبسط ، ولم يقل تشبيه ولا تمثيل . على أننا لو أخذنا بتنظيره للآية بالبيتين المذكورين لوضعنا القول الكريم فى اطار التمثيل لا التشبيه كما فعل الباحث .

وفى اطار هذه الآية فان الباحث ادعى أن أبا عبيدة قد وضح صفة المشبه به التى تومىء الى وجه الشبه فى التشبيه المجمل . وهو قول غير غير دقيق ، لأن ذلك يسلم له لو أن أبا عبيدة قصر حديثه على الصفة الموحيه بالوجه، أو نبه الى ذلك صراحة ، اذ لم ينبه ــ والتنبيه غير متوقع ــ ولم يقصر الحديث على الصفة الموحية يظهر لنا أن قول الباحث دعوى ينقصها الدليل ، فكل ما قاله أبو عبيدة « ان الذى يبسط كفه ليقبض على الماء حتى يؤديه الى فيه لا يتم له ذلك » فهو يفسر عبارة القرآن ليس غير .

وأنه جعل قوله تعالى (على شفا جرف هار) تمثيلا والحق أنه لا تمثيل فيه وانما استعيرت كلمة « شفا جرف » للنفاق كما يتضح ذلك مما نقله الباحث نفسه عن الزمخشرى ، وكان أولى بهذه الآية أن تساق فى اطار الاستعارة .

وأنه أدخل قوله تعالى (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات) فى اطار المثل • وهو فى حقيقته تشبيه ، لأن الوجه مفرد كما لا يخفى وأدخل فيه أيضا قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) وقوله تعالى (فتزل قدم بعد ثبوتها) • وخليق بالمنصف أن يضع هاتين الآيتين فى بحث الاستعارة بعد الاشارة الى انقسامها الى تمثيلية وغير تمثيلية (الكشاف ٢/٤١٧ ــ حلبى) •

وانه لمن العجب أن يكون فى الآية احتمال لأن تخرج عن اطار المثل فينقل الباحث عن أبى عبيدة أنها من باب المثل ثم لا يعقب بما يكشف عن الاحتمال عندما يعارض رأيه بآراء الآخرين كما ألزم نفسه بذلك • ومن هذا القبيل قوله تعالى (فردوا أيديهم فى أفواههم) فقد قال أبو عبيدة مجازه مجاز المثل ونقل الباحث تحت عنوان (معانيها عنده) عن صاحب الكشاف قوله : وقيل الأيدى جمع يد وهى النعمة بمعنى الأيادى فكأنهم ردوها فى أفواههم ورجعوه الى حيث جاءت منه على طريق المثل » واكتفى بهذا الحد فلم يبين كون المثل على طريق الاستعارة فان كون الأيدى بمعنى الأيادى غير ظاهر على طريق المثل ، ومن ثم فقد كان للبيضاوى وأبى السعود مناظير أخرى حيث قال البيضاوى . (فغضوها غيظا مما جاءت به الرسل) كقوله تعالى (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) • أو وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك ، أو اسكاتا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرا لهم باطباق الأفواه •• الخ » [تفسير البيضاوى ج ٣ ص ١٥٦] حتى قال : أو ردوها فى أفواه الأنبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل أن يكون استعارة بأن يكون المراد من رد الأيدى فى الأفواه منعهم عن التكلم من غير اعتبار المعنى الحقيقى لليد » [حاشية الكازرونى على تفسير أبى السعود فى نفس الجزء والصفحة السابقين] •

وكم كان يكون جميلا لو ناقش الباحث هذه المناظير بعد عرضها

ليدرك قارئه مدى ما فهمه أبو عبيدة اذا قورن ما قال بما قيل بعده ، ولكن يبدو أن الباحث لا يرمى الى ما ألزم به نفسه فى منهجه •

صحيح أن أبا عبيدة لم يكن يفرق بين الاستعارة والتشبيه فى المثل والتمثيل كما أشار الى ذلك الباحث بعد الاستعارة التصريحية [ص ٢٣ من البحث] ، ولكن كان عليه هو أن يبين ما ينطبق عليه مصطلح التشبيه ، وما ينطبق عليه مصطلح الاستعارة ، وأن يتناول الصورة البيانية التى عرض لها أبو عبيدة فى عمق ولكنه لم يبذل نظرا للطابع السردى •

٢ ــ ذكر الباحث أن أبا عبيدة نبه الى أن قوله تعالى (اذا دعاكم لما يحييكم) من استعارة المحسوس للمحسوس • ولو نظرنا الى قول أبى عبيدة الذى نقله الباحث عنه لعلمنا أنه ليس كذلك ، فقد قال أبو عبيدة «مجازه للذى يهديكم ويصلحكم وينجيكم من الكفر والعذاب» [البحث ص ٢٢] والا فهل الهداية والاصلاح والنجاة من الكفر والعذاب من المحسوسات ؟

٣ ــ فى الحديث عن الاستعارة المكنية ذكر الباحث أن فهم أبى عبيدة لهذا اللون من الاستعارة لا يخرج عما حده لها عبد القاهر ، وهذا تجاوز لمنطق الحق •

فقد قال أبو عبيدة فى قوله تعالى (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) : « وليس للحائط اراده •• ولكنه اذا كان فى هذه الحال من ربه فهو ارادته » ثم استشهد لذلك بقول الحارثى : يريد الرمح •• الخ •

وما بعد لكن يستفاد منه أن الارادة مستعار للكون فى حال الانقضاض ونفى الارادة المذكور قبل لكن كأنه قرينة على ذلك ، أما عبد القاهر فقد نص على الادعاء بأن للشمال يدا ، ومعارم انه لا يكون للريح يد • فأين هذا من ذاك ؟ فهم عبد القاهر المكنية واضح ، وفهم

أبى عبيدة لا يستقيم الا بغض النظر عما بعد أداة الاستدراك •

وفى مجال الحديث عن المكنية فان الباحث لم يحسن الربط بين الزمخشرى وأبى عبيدة ، ولو أنه تنبه الى ما قبل لكن وما بعدها عنده ، والى ما ذكره الزمخشرى من استعارة الارادة للمداناة ، وما تبعه من تحليل يجعل الاستعارة أدخل فى المكنية لبين أن تحليل كل منهما يشوبه غموض ، وأن شوب الغموض فى تحليل الزمخشرى يكشف وجه العذر لأبى عبيدة حيث كان البحث البلاغى لا يزال غضا ، ولكن بذلك قد أحسن الربط بين الزمخشرى وصاحبه ، ولكنه لم يفعل فظهر ما نقله عن الزمخشرى فى صورة الاستطراد ، اذ لا يكفى توارد الرجلين على تحليل الصورة فى الآية فذلك ما اقتضته طبيعة البحث عند كل من الرجلين •

٤ — فى الحديث عن الكناية ذكر الباحث أن أبا عبيدة ذكر لفظ الكناية على حدها عند البلاغيين • ذكر ذلك فى صلب البحث • ثم أشار فى الهامش الى أن الكناية قد ترد عنده فى مواضع بمعنى الضمير • وما أدرى لهذا الصنيع سببا ومن ثم فاننى أتساءل : لماذا لم يصدر مبحث الكناية ببيان مدلولات لفظها عند صاحبه ؟

وذكر الباحث من الأمثلة التى أوردها أبو عبيدة للكناية قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم) وتحليله له بأنه كناية وتشبيه • ، لم يناقش اطلاق لفظ الكناية على هذه الصورة التشبيهية ، فهى لا ينطبق عليها مفهوم لفظ الكناية عند البلاغيين ، وليست ضمير للغائب ، وليس فيها ما يشير الى ما يعنيه لفظ الكناية بوضعه اللغوى • وهذا يدفع القارىء الدقيق الى التساؤل عن مفهوم لفظ الكناية عندما يطلقه أبو عبيدة على مثل هذه الصورة ، والباحث لم يحاول الاجابة على ما يمكن أن يخطر للقارىء من تساؤل •

وذكر الباحث فى اطار ما عالج أبو عبيدة تأويله من الكناية التى

يطلب بها صـــفة قوله تعـــالى (فأتوا به على أعين الناس) لمجرد قول الرجل : أى أظهروه • تقول العرب اذا ظهر الأمر وشهر : كان ذلك على عين الناس ، أى بأعين الناس • ذكر ذلك دون أن يزيد كلمة تدل على رعيه بألوان التصوير البيانى ، فان لفظ الأعين مجاز مرســـل علاقته الآلية ، حيث أطلقت الأعين وأريد بها الرؤية ، وهذا ما نفهمه من تحليل أبى السعود للفظ الأعين ، اذ يقـــول : « أى بمرأى منهم بحيث يكون نصب أعينهم فى مكان مرتفع لا يكاد يخفى على أحد » [تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٧٤] •

وذكر أيضا قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) • ولا أدرى كيف اعتبر الباحث هذا كناية مع أن تحليل أبى عبيدة يوحى بغير ذلك • فهو يقول : « كل شاك فى شىء فهو على حرف لا يثبت ، ولا يدوم » • واذا تأملنا فى قوله فاننا سندرك أنه يفيد مشـــابهة بين الشاك والواقف على حرف لعدم الاستقرار فى كل • وقد صرح بهذه المشابهة أبو السعود فى قوله بصدد الآية الكريمة : « شروع فى بيان حال المذبذبين ، أى ومنهم من يعبد الله على طـــرف من الدين لاثبات له فيه كالذى ينحـــرف الى طـــرف الجيش فان أحس بظفر قر ، والا فر » • [تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٩٧] ، ولا يخفى أن فى الآية تمثيلا حيث شبه هيئة من يعبد الله على غير يقين بهيئة من يقف على حافة الجيش ، والجامع هو الهيئة الحاصلة من التزلزع بين الطمع فى حصـــول النفع والاشفاق من لحوق الضرر • وعلى هذا فلا كناية ويبدو أن الباحث لم يتأمل تحليل أبى عبيدة بقدر كاف ، وذلك لأنه لم يقارنه بما قيل بعده نظرا للطابع السردى •

٥ ــ فى المعانى المجازية للاستفهام ذكر الباحث الايجاب مستقلا تحت عنوان ، والتقرير تحت عنوان آخر ، ثم ذكر عنوانا ثالثا للايجاب والتقرير والاخبار •

وهذا من التخبط فى البحث ، اذ كان يكفيه أن يذكر المثل التى عرضها للمعانى التى أدركها أبو عبيدة ثم يقول بعد حسن العرض ! وأحيانا يذكر هذه الألفاظ الثلاثة كأنها — عنده — مترادفة على معنى واحد ، ثم يشير الى عدم دقته فى فهم المعانى المجازية للاستفهام ، فما ذكره باسم التقرير والتوعد هو للتعجب على نحو ما نقله عن الزمخشرى والزركشى بهذا الصدد ، وهذا ينم عن السرد •

٦ — فى الحديث عن القلب أطال الباحث فى التعريف به حتى استغرق صفحة الا قليلا ، وكان يمكن أن يكتفى بثلاثة أسطر يبين فيها مفهوم القلب ، ومرقف العلماء منه كأن يقول : القلب جعل كل من جزأى الكلام أحدهما مكان الآخر . وقد قبله بعض العلماء مطلقا ، ورده بعضهم ، ووقف بعض ثالث موقفا وسطا فقبله ان تضمن اعتبارا لطيفا ورده ان لم يتضمن ذلك • وقد فعل الباحث ذلك فى المشاكلة وفى التغليب قبل القلب ، وبعده ، ولكنه أطال فيه بغير حاجة •

هذا من حيث التعريف به • •أما من حيث عرضه لما وجد منه عند أبى عبيدة فقد أحسن وان كان أحيانا يقتصر من الآية على موضع الشاهد اقتصارا فيه حيف اذ يضطر القارىء الى مراجعة المصحف ليتضح له المراد : كما نرى ذلك فى سوقه لما ظنه أبو عبيدة قلبا وهو قوله تعالى (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) ولو بدأ الباحث بأول الآية لكان أفضل •

٧ — ويتجلى الاقتصار المخل بأوضح صوره فيما عرضه من التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى فى مجاز أبى عبيدة وهو قوله تعالى (وأقاموا الصلاة) وقوله تعالى (وقال الرسول يارب) وقوله تعالى (وأرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه) والذى ينظر فى هذه المثل لا يتبين له التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى ، لأنه فصل من السياق الذى يحدد المراد •

٨ ــ فى الالتفات تعرض الباحث لتعريفه ، ولوجه حسنه ناقلا فى ذلك عن الزمخشرى وحازم القرطاجنى ، وهــذا ما لم يفعــله فيما تناوله من الدرس البيانى • وكان يكفى فى ذلك ما نقله عن أحد الرجلين. ولهذا دلالة واضحة هى أن الباحث يرمى الى الزيادة فى حجم البحث ما أسعفه النقل • والا فلماذا لم يشر الى وجه الحسن فى كل ما تناوله من ألوان الفن البلاغى ؟

وفى اطار الحديث عن الالتفات ذكرقوله تعــالى (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم) وتعليق أبى عبيدة عليها اذ يقول : « ثم خاطب شاهدا فقال (فسيحوا) والعرب تفعل هذا ــ قال عنترة :

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا على طلابك ابنة مخرم

ولم يرقه ما قاله أبو عبيدة فقال عنه : « وفى هذا نظر ، لأنه ــ وان كان فيه انتقــال من مقــام الغيبة الى مقام الخطــاب ــ الا أن الشرط فى الالتفات عند البلاغيين أن يكون الضمير فى المنتقل اليه عائدا فى نفس الأمر الى الملتفت عنه وهذا ليس كذلك » [ص ٥٥ من البحث]

وقد جانب الباحث التوفيق من جهتين :

الأولى : صرغ العبارة حيث بقيت أن بلا خبر . لأن الاســتثناء الواقع بعد الجملة المعترضة لا يصلح أن يكون خبرا لأنه يرتبط بالجملة المعترضة كما هو ظاهر •

الثانية : أنه غفل عن توفر الشرط الذى أشار اليه فى الآية وفى البيت • أما فى الآية فالاسم الموصول « الذين » من قبيل الغائب ، وهو مرجع الضمير فى قوله « فسيحوا » ففيها التفات من الغيبة الى الخطاب كما لا يخفى • وأما فى البيت فلفظ العاشقين اسم ظاهر أريد به ابنة مخرم التى خاطبها بقوله « طلابك » ولعل الذى غشى عليه الالتفات فى البيت أن لفظ العاشقين يطلق على المذكر . وفى هذا غفلة عن ضرورة

التغليب ، لأنه لو أريد به المذكر لكان مفهوم قوله « شطت مزار العاشقين أن العاشقات هن اللاتى يقمن بالزيارة لعاشقيهن وقد أصبحت الزيارة عليهن عسيرة لبعد مزار العاشـــقين ، وهذا مناف لمـــا جرت عليه العادة من جهة ، ومناقض لبقية البيت من جهة أخرى كما لا يخفى على أحد .

٩ ــ من ص ٥٦ ــ ٨٢ تحدث الباحث عن الحذف والزيادة . ومهد للحذف بقوله : « يفترق عن الايجاز بأنه فى الحذف يكون ثم مقدر كقوله تعالى (واسأل القرية) بخلاف الايجاز فانه عبـــارة عن اللفظ القليل الجامع للمعانى الجمة بنفسه » نقلا عن البرهان ج ٣ ص ٥٠٢ وهو ــ فى متابعته للزركشى ــ يخالف جمهور البيانيين الذين عرفوا الايجاز بما مؤداه : « التعبير عن المقصود بلفظ ناقص عنه واف به » ثم قسموه الى ايجاز قصر وهو ما يؤدى المعنى الكثير باللفظ القليل بلا حذف ، وايجاز حذف وهو ما يؤدى المعنى الكثير باللفظ القليل مع حذف جزء منه . وقد استقر البلاغيون على ذلك منذ أشـــار اليه الرمانى فى كتابه «النكت فى اعجاز القرآن » [ص ٧٦ : ٧٧] ومخالفة الجمهور دون سبب وجيه لا يستسيغه عاقل .

وكما أن الباحث آثر أن يسمى الاطناب باسم غرض من أغراضه وهو التأكيد ، وذلك اذ يقول : التوكيد أسلوب من أساليب القرآن : وفن من فنونه البليغـــة ، ومن ألوانه ما يكون بتكرار اللفظ ، وما يكون بالزيادة فيه [ص ٦٣ من البحث] .

وليس بخاف أن التكرار صورة من صور الاطناب تؤثر لغرض من الأغراض كالتأكيد أو زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة أو طول الكلام ، أو تعدد المتعلق ، أو ما الى ذلك . فالتأكيد غرض من أغراض التكرار لا العكس .

وفى الحديث عن الزيادة وقف أمام قضية كان لا بد من مواجهتها

اذ لم تسم الأشياء بأسمائها ، تلك هى القول بوجود زيادة فى القرآن وهذا أمر يخرج عن حدود الأدب مع الله ، ومن ثم فقد أنكره الأكثرون كما نقله الباحث نفسه عن الزركشى حيث سموه بأسماء مختلفة . ولو سمى الاطناب باسمه لكان ذلك مخرجا لطيفا يبعد به الباحث عما يؤدى الى سوء الأدب من جانب ، وتماما لمبحث الاطناب باستيفاء صوره من جانب آخر ، فالاطناب أداء المعنى بلفظ زائد عنه لفائدة وصوره متعددة لا يخفى أمرها على أحد ، وما اجتلب لفائدة لا يوصف بالزيادة.

هذا بالنسبة لمفهوم الألفاظ . أما بالنسبة للناحية الفنية فاننا نراه فى تناوله للحذف ذكر صوره التى وجدها عند أبى عبيدة وهى :

(أ) ما يكون بذكر شيئين ثم يعود الضمير الى أحدما .

(ب) ما يكون بالحذف من أحد الامرين لدلالة الآخر .

(ج) ما يسمى بالاختزال .

ومن الأمثلة التى ذكرها للصورة الاولى قوله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) وقوله تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) ذكر تأويل أبى عبيدة للأولى وهو : ان مجازها : اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا . وعقب تأويله بقول الزمخشرى : تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وذكر تأويله للثانية وهو : أن مجازها مجاز المشركين يخبر عن أحدهما بلفظ الواحد منهما ويكف عن الآخر فمجازها وما أموالكم بالتى تقربكم الينا زلفى ولا أولادكم أيضا فالخبر بلفظ أحدهما وقد دخل معه فى المعنى .

واذا كان تأويل الآيتين على هذا النحو فأى فرق بينهما وبين الآية التى ساقها شاهدا للصورة الثانية — ما يكون بالحذف من أحد الأمرين لدلالة الآخر — وهى قوله تعالى (ولقد أوحى اليك والى الذين من

قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) والتى قال أبو عبيـــدة فى تأويلهـــا : مجازها : ولقد أوحى اليك لئن أشركت ليحبطـــن عملك والى الذين من قبلك ، أقول أى فرق بين تأويل الآيتين الســـابقتين على النحو الذى رأينا وتأويل هذه الآية ؟ [ص ٥٨ من البحث] .

ان الصور قد تتداخل فى تأويل أبى عبيدة، والباحث يمر عليها مرورا عابرا دون أن يشـــير الى هـــذا التداخل مما نستشف منه أن السرد هو الطابع المميز للبحث كما يتجلى للقارىء فى كثير من نقاطه وقد أشرنا الى بعضها ، ومنها هذه النقطة ، وما أشبه لفظه الاختزال بالبحث الرياضى.

هذا . والبحث بصورة عامة لا بأس به اذا روجعت النقاط التى نبهنا عليها فى هذه الالمـــامة .

أ ـــ د ـــ عبد الوجود متولى بهنسى
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
بكلية اللغة العربية بالمنوفية